الفصل السادس

من حقوق الزوج على الزوجة

* الطاعة
* لا خروج من البيت إلا بإذنه
* خروج النساء إلى حاجاتهن.
* الحرص على مال الزوج
* صور من الحياة الاقتصادية في بيت الزوجية
* النظافة
* حسن الخلق
* ترضية الزوج عند الغضب
* حسن معاشرة أهل الزوج
* احترام مشاعر الزوج
* شكر الصنيع
* الخدمة في الدار
* العفة والأمانة وكيفية الحفاظ عليها
* الإحداد على الزوج عند وفاته

obeikandl.com

* من حقوق الزوجة على الزوج: كيف أثيرَ حق المرأة؟
* حقوق المرأة في المذاهب والشرائع الأخرى
* حسن المعاشرة والمعاملة
* حق المرأة بالملاطفة والتمتع واللهو المباح
* حق المرأة في بيت يليق بحال الزوج ومراعاة حاله بالمعروف
* حق المرأة بالإنفاق المتناسب مع إمكانيات الزوج المادية.
* حق المرأة في خادم يقوم على خدمتها ـ حق التعليم

obeikandl.com

من حقوق الزوج على الزوجة

لا خيرَ من استخدام كلمة «حق الزوج على الزوجة» فذلك يجعل المرأة في موقع المحاسبة والمؤاخذة، ولكن يجب ألا ننسى أبداً أن هذا التعبير ذاته سيستخدم عند الحديث عن «حقوق الزوجة على الزوج» فهذا التعبير سيجعل الرجل أيضاً في موقع المحاسبة والمؤاخذة كما حدث للمرأة على وجه تام من المساواة والعدل فالحياة الزوجية أسُسُها تقوى اللَّه، ورأسمالها الحب في اللَّه فبدافع من هذا الأساس الذي أقيم عليه الحب الصادق بين الزوجة والزوج يحصل التعاون بين الطرفين فما كان للَّه فهو المتصل، وما كان لغير اللَّه فهو المنفصل.

فبدافع الحب في اللَّه تجد المرأة الصالحة الحلاوة في كل عملٍ تعملُه لإرضاء زوجها، وفي كل فعلٍ وكلمة مقدم للزوج لتسهل له طريق الارتقاء في مدارج التقى، وسلالم السعادة وبهذه الدوافع يكدح الرجل، ويبذل الجهد الأوفر لتوفير المال للاتفاق على الزوجة والأولاد كي يوفّرَ لهم

العيش الكريم. فما دام التقى زوجته على سنة رسول اللّه ﷺ التي أكدت على أن الإيمان لا يكتمل حتى يكون حريصاً على إيصال كل قيم الخير والرحمة والسعادة التي يحبها لنفسها إلى غيره من المؤمنين.

وفي ذلك قال رسول اللّه ﷺ «لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسهِ» فإذا أحب الزوج لنفسه الراحة والرفاه والكرامة والاحترام والصدق والتقوى فحريٌ به أن يتمنى ذلك لعامة المؤمنين ولزوجته على وجه الخصوص.

ولكن الإسلام بواقعيته وضع ضوابط ملائمة لتنفيذ هذه الأحكام، وإيصال الحقوق إلى أصحابها، فلم يترك الحياة الزوجية خاضعة لمؤثرات العواطف البشرية الصاعدة إيجاباً أو سلباً، إنما شاء اللّه تعالى أن تكون مسؤوليات الحياة وهمومَها موزعة بين الرجل والمرأة، بل أصبح من عوامل النجاح والفوز في هذه الحياة الدنيا والآخرة أن ترد الأمور الجسام إلى أهل الاختصاص ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ ـ فهذا لا إنقاص فيه لأحد، ولا بخس فيه لإمكانيات أحد الجنسين ـ وإنما النقصان يحدث عندما يخرج كل واحدٍ عن دائرة اختصاصاته متجاهلاً حدود اللّه ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾.. وكي لا يقع الطرفان في ظلم النفس الذي ستحصد آثاره الأمة أدخل البشرية بأسرها وضعت الشريعة الإسلامية ضوابط لمسيرة الحياة الزوجية اعترافاً بحقه ـ يعدُلُ ذلك كلّه وقليل منكن من يفعلُه القائمة على

مفهوم الحق والواجب ـ ثم المسارعة إلى النوافل والتنافس في صالح الأعمال ـ ومن أراد تحصيل حقوقه فليؤدِ واجباته الزوجية اتجاه الآخر.

الطاعة:

إنّ من الأمور التي جلبت الشقاء للمرأة عصيانها زوجها، ذلك العصيان الذي جلبَ الصراع بينها وبين زوجها، مما جعل البغضاء سائدةً، والشقاق حاضراً في بيت الزوجية!.

إن هذا الشقاق، وهذه البغضاء إنما تنعكس نتائجُها على الأولاد مما يقتضي أن ينتبه الآباء إلى السُبل الكفيلة بتحقيق السعادة ـ ولن تتمَ السعادة ولا الحياة الهانئة الكريمة إلاّ بطاعة المرأة لزوجها، فكلّما ازدادت طاعة المرأة لزوجها زادت أواصِرُ الودِّ، وتعاظم الحبُّ بينهما، وتوارث الأولاد هذا الودّ، لأن الأخلاق المألوفة المنسجمة مع الفِطرة السليمة سرعان ما تكون مَلَكاتٍ مغروسة في نفوس الأولاد، لكل ذلك ولغيره جاءت الآثار النبوية الشريفة تحضّ المرأة على طاعة الزوج واعدةً بالأجر الكريم، قال ﷺ «أيّما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة»[1]، وذكر

(١) أخرجه الترمذي، وقال حسن غريب، برقم ١٠٨١. وأخرجه ابن ماجه برقم ١٨٤٤.

رسول اللَّه ﷺ النساء فقال: «حاملات والدات مرضعات رحيمات بأولادهن: لولا ما يأتين إلى أزواجهن دَخَلُ مصلياتهن الجنة»[١] ـ وأخرج البخاري عن ابن عباس حديثاً طويلاً بعد أن ساق سؤال الصحابة رسول اللَّه ﷺ بعد صلاة الخسوف... «قالوا يا رسول اللَّه رأيناك تناولت شيئاً في مقامك هذا، ثم رأيناك تكعكعت[٢]، فقال: إني رأيت الجنة أو أُريتُ الجنة فتناولت منها عنقوداً، ولو أخذتُه لأكلتُم منه ما بقيت الدّنيا ورأيت النار فلم أرَ كاليوم منظراً قط، ورأيتُ أكثرَ أهلها النساء، قالوا: لِمَ يا رسول اللَّه؟ قال: بكفرهن. قيل: يكفرن باللَّه؟ قال: يكفرْن العشير، ويكفرن بالإحسان، لو أحسنتَ إلى إحداهن الدّهر ثم رأت منك شيئاً قالت: ما رأيت منك خيراً قط»[٣].

وقد عظّم الرسول ﷺ أمر طاعة المرأة لزوجها في قوله: «لو أمرتُ أحداً أن يسجد لأحدٍ لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها من عظيمِ حقه عليها»[٤].

---

(١) أخرجه الحاكم، قال الحافظ العراقي: في تخريجه أحاديث الإحياء: وصحّحهُ من حديث أبي أمامة دون قوله: مرضعات وهي عند الطبراني في الصغير، انظر الإحياء: ج ٢، ص ٦٤.

(٢) تكعكعت: تهيئتَ ثم تراجعت.

(٣) أخرجه البخاري برقم ٥١٩٧، في باب كفران العشير وهو الزوج.

(٤) أخرجه أحمد برقم ١٢١٥٣، العالمية، والترمذي بلفظ آخر قريب برقم ١٠٧٩، العالمية.

وقال الغزالي «حقوق الزوجة على زوجها كثيرة» وأهمُها أمران: أحدهما الصيانة والستر. والآخر: ترك المطالبة بما وراء الحاجة، والتعفف عن كسبه إذا كان حراماً، وهكذا عادة السلف[1] ـ على أنه ينبغي أن يتذكر الزوج أن حق الطاعة على الزوجة يجب ألا يستغلّه لمصالحه الشخصية، أو يحوّلَهُ كإجراء انتقامي ضد المرأة الزوجة، إنما هذه الحقوق شُرِّعت من اللّه تعالى حرصاً على مصلحة الزوجة، لا سوءَ ظنٍ بها ولا للانتقام منها. ـ كما أن على الزوجة أن تعلَمَ لا طاعة للزوج في عصيان اللّه تعالى، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ـ وبلغ من تعظيم أهمية طاعة الزوجة لزوجها أن الشارع الحكيم منع المرأة من صيام التطوع إلا بإذن زوجها على ما في صيام التطوع من الأجر الكبير، فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي اللّه عنها عن النبي ﷺ قال: «لا تصوم المرأة، وبعلُها شاهد إلا بإذنه ـ كما أن اللّه تعالى توعّدها بالعذاب الشديد إن لم تكن مطيعة راضية بأمر زوجها إذا دعاها إلى فراشه فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي اللّه عنه، قال: قال النبي ﷺ: «إذا باتت المرأة مهاجرة فِراش زوجها لعنتها الملائكة حتى

---

(١) الغزالي، الإحياء، ج ٢، ص ٦٥.

(٢) أخرجه البخاري برقم ٤٧٩٣ في باب صوم المرأة بإذن زوجها تطوعاً في كتاب النكاح.

ترجع»[١]، وساق ابن حجر حديثاً عن ابن حبان عن جابر رفعَهُ «ثلاثة لا تقبل لهم صلاة ولا يصعد لهم إلى السماء حسنة العبد الآبق، حتى يرجع، والسكران حتى يصحو والمرأةُ والساخطُ عليها زوجُها حتى يرضى»[٢].

لا خروج من بيت الزوجية إلاّ بإذن الزوج:

وليس هذا الأمر عُدواناً على حقوق المرأة، وليس سوءَ ظنٍ بها، إنما صيانة لها بما ينسجم ومستقبل الأسرة، واستمرار الحياة الزوجية، والتصاقها ببيتها مربية أولادها، راعيةَ شؤون زوجها، أخرج البيهقي عن ابن عباس وابن عمر: «أتتْ امرأةٌ من خثعمَ إلى رسول اللّه ﷺ فقالت: إني امرأةٌ أيِّم وأريد أن أتزوّجَ فما حق الزوج؟ قال: حق الزوج على الزوجة إذا أرادها فراودها عن نفسها وهي على ظهر بعير لا تمنعه، ومن حقه لا تعطي شيئاً من بيته إلا بإذنه، فإن فعلت كان الوزر عليها والأجر له، ومن حقه ألا تصومَ تطوعاً إلا بإذنه، فإن فعلتُ جاعت وعطشت، ولم يُتَقَبَّل منها، وإن خرجْت من بيتها بغير إذنه لعنتها الملائكة حتى ترجع إلى بيته أو تتوب»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري برقم: ٤٧٩٥، في باب: إذا بانت المرأة مهاجرةً فراش زوجها.

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ج ٩، ص٥٦٣ .

(٣) أخرجه البيهقي.

خروج النساء إلى حاجاتهن:

أخرج البخاري عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: «خرجت سودةُ بنت زمعةَ ليلاً فرآها عمرُ فعرفَها فقال: إنك واللَّه يا سَودة ما تَخْفِينَ علينا، فرجعَت إلى النبي ﷺ فذكرَت ذلك وهو في حجرتي يتعشَّى وإن في يده لعَرْقاً، فأنزل عليه فرُفِعَ عنه وهو يقول: «قد أذِنَ اللَّه لكن أن تخرجوا لحوائِجكنّ»[١].

استئذان خروج المرأة زوجَها في الخروج إلى المسجد:

أخرج البخاري عن سالم عن أبيه عن النبي ﷺ إذا استأذنت المرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها[٢]. قال ابن التين: تُرجمَ بالخروج إلى المسجد وغيره [في صحيح البخاري]. واقتصر في الباب على حديث المسجد، وأجاب الكرماني بأنّه قاسه عليه والجامع بينهما ظاهر، ويشترط في الجميع أمن الفتنة[٣] ـ ولعل هذا يُؤيَّدُ بحديث رسول اللَّه ﷺ: «أقربُ ما تكون المرأةُ من ربها إذا كانت في قعر بيتها فإن صلاتها في صحن دارها أفضل من صلاتها في المسجد»[٤]... وروى البيهقي عن عائشة: «ولأن تصلي في

---

(١) أخرجه البخاري برقم ٤٨٣٦ في باب خروج النساء لحوائجهن.

(٢) أخرجه البخاري برقم ٤٨٣٧ في باب إستئذان المرأة زوجها الخروج إلى المسد.

(٣) ابن حجر، فتح الباري، ج ٩، ص ١١٦، في باب استئذان المرأة زوجها في الخروج إلى المسجد وغيره.

(٤) أخرجه ابن حبان من حديث ابن مسعود بأول الحديث دون آخره، وآخره

الدار خيرٌ لها من أن تصلي في المسجد»[١] ـ ولا بأس من ذهابها إلى المسجد لتحصيل العلم الشرعي أو حضور الذكر ـ إذا كانت آمنةً على نفسها من الفتن.

القناعة في طلب الإنفاق، والحرص على مال الزوج:

إن أهم ما تتسم به الحياة المعاصرة كثرة التكاليف، خاصة وأن الكماليات المعروضة في السوق لا تتناهى، فما العمل اتجاه هذا الواقع؟

يجب ألا تنساق الأسرة لاهثة في طلب الكماليات للأسباب التالية:

١ـ إنّ هذه الكماليات لن نستطيع الإحاطة بها أو اقتناؤها لكثرتها وتجددها المستمر إنما يجب التعامل معها وفق الظروف الاقتصادية للأسرة وللوطن عامة كي لا تهدر الأموال لصالح غير الضروري على حساب الضروري أو تهدر لصالح الضروري على حساب ما هو أضرُّ منه.

٢ـ لأن هذا سيجعل الزوج مثقلاً بالأعباء وخاصة أن عامة الأزواج من ذوي الدخل المحدود، فإذا ما انساقت الأسرة وعلى رأسها الزوجة بوصفها الرأس المدبر لاقتصاد

= رواه أبو داود مختصراً، وانظر تخريج الوافي لأحاديث الإحياء، ج ٢ ص ٦٥.

(١) أخرجه البيهقي.

البيت وراء الكماليات فإن الأسرة برمتها سيحيط بها الإرهاق لأن الكماليات لا تتناهى ـ وقد يجعل الأسرة تسلك مسالك غير مشروعة من أجل مواكبة الكماليات في الحياة الحديثة التي لا تُحد بحدود، لذلك لا بد للمرأة أن تدبر شؤون البيت المعاشية بحكمة وتوازن تقدم الأهم على حساب المهم، داعمة الزوج الذي يكدح من أجل حياة كريمة للأسرة، ولا بأس من تحصيل بعض الكماليات من دون إسراف ولا مخيلة.

وعلى ذلك فإن من الواجب إلاّ تفرّط المرأة في مال زوجها، بل تحفظه عليه، قال رسول اللّه ﷺ «لا يحلُّ لها أن تُطعِمَ من بيته إلا الرَّطْب من الطعام الذي يخاف فسادَه فإن أطعمت ـ عن رضاه ـ كان لها مثل أجره. وإن أطعمت بغير إذنه ـ كان له الأجر وعليها الوزر، وورد في حديث آخر، «قالت امرأةٌ يا رسول اللّه؛ إنّا كَلٌ على آبائنا وأبنائنا وأزواجنا فما يحلُّ لنا؟ قال: «الرَّطب تأكلنَه وتهدينَهُ»[1]، وهذا إذا لم يكن هناك تفويض من الزوج للزوجة في إطعام الأطعمة من بيته، أمّا إذا كان هناك تفويض من الزوج للزوجة بإطعام الطعام فلا بأس على أن يكون ذلك دون إسراف، وورد في صحيح مسلم عن عائشة: «إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها ـ غير مفسدة ـ كان لها أجرها بما

(١) أخرجه أبو داود برقم ١٤٣٦.

أنفقت ولزوجها أجرهُ بما كسب»[١].

وعلى الزوجة ألا تطلب إلا ما تحتاج إليه على نحوٍ عام من مأكل وملبس فقد قال سبحانه ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٢] وإلحاح على طلب أشياء ليس بإمكان الزوج توفيرها تكليف للرجل بما لا يطيقه وفي ذلك إساءة إلى نفسها بعد إساءتها إلى زوجها ـ فالنساء الذين يلحون بالطلب من الزوج بضرورة مرافقتها إلى بعض السهرات المكلفة، أو تطلب منه السماح بالذهاب إنما هي مسرفة في حق مال زوجها، هذا فضلاً عن طبيعة تلك السهرات وما يحصل فيها من مخالفات أخلاقية وشرعية تسهم في تفكيك عرى الأسرة، وتمزيق الرباط المقدس بين الزوج وزوجته في نهاية المطاف، وجميلة تلك الوصية التي أوصت بها امرأة ابنتها «لا تكلفي زوجك إلا ما يطيق طبقاً للأحوال وارفعيه بيدك عن مواطن الضعف والضيق، فحمل الصخور أخف من ثقل الديون ـ وصحيح قول الشاعر:

إذا لم تكن في منزلِ المرء حرةٌ

تديرُه ضاعت مصالح دارهِ

(١) أخرجه البخاري برقم ١٣٣٦، وفي مسلم برقم ١٧٠٠ بترقيم العالمية.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣٦.

صورة من الحياة الاقتصادية:

تستطيع المرأة ذات الدخل المحدود أن تحمي أسرتها من ذل الحاجة إذا تريثت في شراء الفاكهة أوّل ظهورها، وتستطيع أن تتعرّف مواسم تخزين بعض المواد للمؤونة في أوقات انخفاض أسعارها، ولا بأس من ذكر هذه القصة النافعة في الحياة الزوجية اضطر فتى إلى اقتراض عشرة آلاف ليرة في احتفال زواجه وأهمَّه الأمر حتى بدت ملامح القلق على وجهه وقد شعرت عروسُه بذلك بعد الزفاف بأيام قليلة ولما كشفت الأمر على حقيقته خلعت أحد أساورها وقالت لزوجها بعد هذه، واجعل دينك عندي بدلاً من الآخرين واستجاب الزوج لطلب عروسه وأعطاها جزءاً من مرتبهِ، وترك لنفسه جزءاً آخر، وطفقت الزوجة توفر من مصروف البيت، وهو يوفِر من مصروفه حتى اكتمل معه ثمن سوار الذهب الذي اقترضه من زوجه فاصطحبها عندئذٍ إلى الصائغ واشترى سواراً بدلاً من السوار الذي اقترضَهُ ـ ثم قالت له: هيا بنا إلى الساعاتي لنرَ ساعةً جميلةَ وهناك فوجىء الزوج بأنها تدفع ثمناً لساعة رائعة قلدتْه إيّاها قائلةً: مبارك لقد كان كلٌّ منهما يدبرُ من أجل لحظة يُسعِدُ فيها الآخر، فما أحلاها ليلةً عقدا فيها بتدبيرهما وإخلاصهما عقداً جديداً للثقة والحكمة والحب المتبادل وهذه امرأة عاقلة أنقذت زوجها

عيد المتعالي الجبري، المرأة في التصور الإسلامي، ص ١١١.

من مرض الإدمان على الخمر والسكر وقد تزوجته دون أن تعلَم معاقرته للخمر؛ ولما علمت ذلك ليلة زفافها اشترطت على زوجها أن يعطيها كل يوم ثمن كأس مما يشربُه وبرّ بوعده، ولم يكتمل العام حتى رزقهم اللّه مولوداً ولم يكن يملك فلساً واحداً من أجل شراء بعض المأكولات التي يجب أن تقدم لبعض المهنئين...

فقال لزوجه: يجب أن نكرِمَ زوارنا المهنئين.

قالت: وما يمنعك من إكرامهم؟

قال: الإفلاس.

قالت: أتذكرُ أنك تعطيني كلّ يوم ثمن كأس من الشراب؟

قال: نعم.

قالت: أما أنا فلا أشرب مُسكِراً. ولَمْ أشربَ أبداً هذا هو كل ما أعطيتني، رصدته للزمن ومناسباته الضرورية الهامة فخذه واشترِ بعض الحلوى بقسم منه وبالآخر اشترِ لك بدلة جميلة بمناسبة قدوم المولود الجديد ولتذكر نعمةَ اللّه عليك في هذا اليوم، فشكرها بعبارات صادقة عامرة بالحب والود... وقال: واللّهِ لن أشرب مسكِراً بعد اليوم.

النظافة:

النظافة لها من الأهمية الكثير الكثير، لأنها الباقية، مع ما دامت الحياة، ولعل هذا ما يدعو إلى القول: إن النظافة

ألزمُ للمرأة من الجمال لأن الجمال عرضة للزوال إما بسبب تقدم سن المرأة، وإما بسبب عارض آخر كتعرض الوجه للأذى، أو أي مكان آخر من الجسد بسبب حريق أو مرض... في حين النظافة ترتبط بمفهوم المرأة عن الحياة وعن الجمال العام في البيت والجمال الخاص بها... ولهذا حثّ الإسلام عليها... فالمرأة التي لا تنسى نظافة بدنها، فإنها تحبب زوجها إليها، والتي لا تهمل نظافة بيتها، فإنها تشرح صدر زوجها، وتسهم في إصلاح مزاج الأسرة، كما أن نظافة المرأة تجلب لها السمعة الكريمة الطيبة لهذا كان تعقيب حديث رسول اللّه على من كان شعرُه قد تفرَّقَ «أما كان يجدُ هذا ما يسكِنُ بها شعره، ورأى رجلاً آخر وعليه ثياب وسخة أما كان هذا يجدُ ماءً يغسِلُ به ثوبَهُ»[١].

كل ذلك من الناحية النفسية والشعورية، أما إهمال النظافة فإنه يورث جلب الأمراض مما يضعف الأجسام وهذه مخالفة للهدي النبوي لأن «المؤمن القوي خير وأحب إلى اللّه من المؤمن الضعيف وفي كل خير»[٢].

وفي المقابل فإن العناية بنظافة الأجسام يكسبها القوة والحصانة من الأمراض، وكل هذه الحكم التي أسلفنا إنما

---

(١) أخرجه أبو داود برقم ٣٥٤٠، العالمية.

(٢) أخرجه مسلم برقم ٤٨١٦ في كتاب القَدَر، وابن ماجه برقم ٧٦ في المقدمة.

يجب أن تستند إلى النداء الإلٰهي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[١].

ومما يندرج تحت مظاهر النظافة البدنية التي أكد عليها الإسلام:

حلق العانة أو إزالتها ببعض المواد التي تزيلها، وكما أن من السنن الخاصَّة على النظافة نتف الإبط وتقليم الأظافر ويكرَه أن تبقى الأصابع دون قص الأظافر أكثر من عشرة أيام والتحديد لأن الأظافر في عشرة تطول وقد تسبب تجمعاً للأوساخ الجالبة للمرض عدا أنها تعكس مشهداً منفراً، وفي الحديث خمس «من الفطرة، حلق العانة، وتقليم الأظافر، ونتف الآباط، والختان»[٢] وأخذ الشارب.

ومن الفطرة تنظيف المغابن[٣]، وهي الأرفاغ والآباط، والأرفاغ جمع رفغ[٤] وهي بواطن الأفخاذ عند الجوالب.

وفي الحديث أن النبي ﷺ صلى فأوهَم في صلاته أي أسقط من صلاته شيئاً وهماً أو سهواً فقيل له: يا رسول اللّٰه

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢

(٢) النسائي برقم ١١.

(٣) المفرد: مغبن أي الإبط، وبواطن الأفخاذ عند الجوالب، الوسيط مادة غَبَن، غبنَهُ.

(٤) قال اللغويون: كل ما ثنيت عليه فخذك ما من شأنه أن يجتمع فيه الوسخ والعرق.

كأنك قد أوهمْتَ قال: «وكيف لا أُوهِمُ ورُفْغُ أحدِكم بين ظفرِه وأنملته؟! والمعنى أن أحدكم يحك الموضع من جسده فيتعلق درنَهُ ووسخَهُ بأصابعه فيبقى بين الظِفر والأنملة وإنما أنكرَ من هذا طول الأظفار وترك قصِها حتى تطول، فتكثر الحركة في الصلاة، فتبطل أو يذهب الخشوع فيها على الأقل، فليعتبر بهذا نساؤنا وفتياتنا ورجالنا وفتياتنا الذين شاعت فيهم اليوم بدعة ترك الأظافر، هل يريدون من هذا أن تكون أظفارُهم مجمعاً للأوساخ أم يريدون التشبه بالقطط؟!

ولقد كان النبي ﷺ يأمر الأعراب سكان البادية الذين أسلموا بالتقليم، لأن هؤلاء بِداةٌ بعيدون عن الحضارة والمدنية، فبإسلامهم دخلوا الدائرة الحضارية الصانعة، وقد أنكر الرسول ﷺ على الأعراب ما رآه من أوساخ تحت أظافرهم وورد في الحديث الشريف «قصوا أظفاركم، وادفنوا قلاماتِكم، ونقوا براجِمَكُم، ونظفوا لثاتِكم من الطَّعام، ولا تدخلوا على قَلَحٍ[1] بَخَرَاً»[2]. والبراجمُ: هي العُقَد في ظهور الأصابع يجتمع فيها الوسخ والمراد يدفن القلامة أي تغييب الأظافر المقصوصة...

كما يجب على المرأة أن تتجمل لزوجها ـ بالعناية

(١) القَلَحُ: قَلِحتْ السِّنُّ قَلَحاً: تعيرت بصفرة أو خُضرَةٍ تعلوها وهو قَلِحٌ وهي قَلِحَة. قلِحة: الوسيط قَلِحَ.

(٢) البَخَرُ: نَتَن الفم بَخَرُ الفمُ بَخَراً: أنتنت بريحة

بتنظيف بشَرَتِها بالماء والصابون وبضرورة الإدمان والاعتياد على المضمضة والاستنشاق، والاستنثار أي إخراج فضلات الأنف، وغسل الرجلين ومسح الرأس والعناية بنظافة الشعر وهذا ما عبر عنه الإسلام بالطهارة من الحدث الأصغر ويتمُّ بالوضوء... ولا بد من المحافظة على غسل الجنابة وغسل الحيض والنفاس والأغسال المسنونة كغسل يوم الجمعة والعيدين، والوضوء لتلاوة القرآن...

كما يجب ألا تمل المرأة ولا الرجل العناية بتنظيف الأسنان باستخدام السواك[١] أو الفرشاة أو الاثنين معاً... ومن النظافة العناية بتكحيل العين وإزالة بعض المفرزات التي تخرج منها أحياناً[٢].

ولا بد من التذكير أن السواك مستحب عند كل صلاة، وعند تغير النكهة بالنوم أو كل ما تكره رائحتهُ كالبصل والثوم.

حسن الخلق:

قال رسول اللّه ﷺ «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»[٣]، فالأخلاق الإسلامية الفاضلة ثمرة من ثمار الإيمان

---

(١) نقل عبد المتعال الجبري أن ثمن السواك المصنوع من شجر الأراك بلغ ثمنه في بريطانيا. جنيهاً استرلينياً، انظر المرأة في التصور الإسلامي ص ١٢١.

(٢) عبد المتعال الجبري المرأة في التصور الإسلامي بتصرف.

(٣) أخرجه أبو داوود برقم ٤٠٦٢.

الصادق الثابت باللَّه، والمرأة المؤمنة الواعية العاقلة التي تبشُّ في وجه زوجها القادم إلى البيت بعد كدّه وتعبه من أجل أسرتِه، والمرأة الحمقاء هي التي تبادرُه بالضجيج والصراخ وكثرة الطلبات، فالعيش السعيد مرهون ببشاشة المرأة ولينها وصلاح أخلاقها.

وحُكيَ أن تالياً للقرآن كان يقرأ القرآن الكريم فلما بلغ قوله تعالى: ﴿أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾[1] أي تفرحون وتسرُّون.. وضع المصحف على كرسيه وقال: اللَّهم لا تفعل. اللَّهم لا تفعل، وجعل يكرر ذلك، قالت له زوجتُه: ما الذي دهاك؟

قال لها: كيف لا أقسم على اللَّه وأدعوه وقد قال سبحانه ﴿أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ وأنت في هذه الدنيا الفانية لا أقدرُ عليك فيها لكثرة ما أرى من إيذائك لي، فكيف تكونين معي في دار البقاء؟ أنا لا أطيق ذلك قالت: لا تدعُ اللَّه ـ بحقهِ عليك فإني تائبةٌ إليه ـ وأسألَهُ أن يجمعَ بيننا في الآخرة»[2].

ترضية الزوج عند الغضب:

وهنا لا بد من التنويه أن الحياة الزوجية حياة مديدة طويلة، ولا بد من وقوع حالات يثار فيها الرجل ويغضب،

(١) سورة الزخرف، الآية: ٧٠.

(٢) عبد المتعال الجبري، المرأة في التصور الإسلامي ص ١٢٥.

والكلام في الغضب على الغالب لا يكون متوازناً، ولا سديداً، فكيف تتصرف المرأة إذا واجهت بعض حالات الغضب عند زوجها؟

إن من الحماقة أن تواجهَ المرأة زوجَها في ساعة غضبه، وعدم توازنه، لأن هذه المواجهة ستخلق أجواءً مضطربة كثيراً، بموجب الفعل ورد الفعل، بل عليها أن تكون رفيقةً به، مستاهلة، متسامحة وهادئة، فثورة الغضب زائلة لأنها مؤقتة وعارضة، فإذا ما ذكرتْهُ الزوجة بعد هدوئه بما بدر من تجاوز على شرع اللّه بالدرجة الأولى ثم عليها، فإن الزوج سيستجيب ويدرك الزلة التي زلَّها ويعمل على تصحيح تصرفه وجميل قول الشاعر أسماء بن خارجة الفزاري وهو يوصي ابنته هند فقال: اعلمي أني القائل لأمك:

خذي العفوَ مني تستديمي مودتي
ولا تنطقي في سورتي حين أغضبُ
ولا تنقريني نقر الدُّفِ مرة
فإنك لا تدرين كيفَ المغيبُ
ولا تكثري الشكوى فتذهبَ بالهوى
وبأباك قلبي والقلوب تَقلَّبُ
فإني رأيت الحبّ في القلب والأذى
إذا اجتمعا، لم يلبث الحبُّ يذْهبُ

واذكري أيتها المرأة حكمة لقمان وهو يعظ ابنَهُ: «يا بني كذب من قال إن الشرّ بالشرِّ يُطْفأ، فإن كان صادقاً فليوقد نارين، ولينظرْ هل تطفىء إحداهما الأخرى، وإنما يطفىء الخير الشر كما يطفىء الماء النار»[١].

حسن معاشرة أهل الزوج:

كما أن الزوجةَ أمانةٌ في يد الزوج، فإن الزوج فلذةُ كبدِ أمهِ فهو أمانةٌ في يد الزوجة فتوجّبَ عليها أن تتلطفَ به، ومن التلطف بالزوج أن تتودد الزوجة إلى أمِّ زوجها، وتظهرَ الاحترام الصادق البعيد كل البعد عن النفاق، كما أن الزوجة يجب أن تظهر التقدير لأخوات زوجها، وبهذا يمكن كسب قلوب الأخوات وقلب الأم أيضاً، وعلى الزوجة أن تدرك أن هذه الأساليب الأخلاقية الحسنة التي تمارسها مع أهل الزوجة إنما يساعدُها في يوم اختلفت مع زوجها على الاستعانة بهم عليه من أجل رد الحق إليها أو من أجل ردعِه وجعل يعود إلى جادة الحق والصواب لأن لهؤلاء سطوة أو خطوة عليه ومن الصعب مخالفتهم...

احترام مشاعر الزوج:

ما أظن زوجةً عاقلةً تحبُّ أن يكون زوجها بليدَ الأحاسيس، متكلِس المشاعر، وما دام الأمر كذلك فإن من

---

(١) عبد المتعال الجبري، المرأة في التصور الإسلامي، ص ١٢٧ـ ١٢٨.

واجب الزوجة أن تحترمَ مشاعر زوجها «وأن تشاركَهُ وجدانه، وأحاسيسه، وأن تكونَ له وحدَه، كما تحبُّ أن يكون لها وحدها»[١] ـ ومثلُنا في ذلك أسماء بنت أبي بكر رضي اللَّه عنهما وزوجة الزبير بن العوام رضي اللَّه عنه ـ عندما أدركت غيرةَ الزبير فرفضت أن تركب مع الرجال بالرغم من أن الدعوة إليها موجهة من رسول اللَّه ﷺ[٢].

وورد في الأحاديث النبوية الناهية عن إيذاء المرأة لزوجها أحاديث كثيرة، منها ما روي عن معاذ بن جبل رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لا تؤذي المرأةُ زوجَها في الدنيا إلا قالت زوجتُه من الحور العين: لا تؤذيه ـ قاتلك اللَّهُ ـ فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقَكِ إلينا»[٣].

ومن احترام مشاعر الزوج ألا يُعابَ أحدٌ بذم مظهر أو سمة خلقية تكون في الزوج أو الزوجة كالوج والعمى والصمم.

وقد ورد في كتاب المرأة في التصور الإسلامي:

أن رجلاً كان يكثر من المثل المعروف: «ريثما تكتحل العوراء، يكون السوق قد خرب» وشارت الأقدار «أن يتزوج

---

(١) عبد المتعال الجبري، المرأة في التصور الإسلامي، ص ١٢٨.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) أخرجه ابن ماجه في باب النكاح وبرقم: ٢٠٠٤ وأخرجه الترمذي في باب الرضاع وبرقم ١٠٠٩٤ وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

هذا الرجل فتاةً عوراء ـ فشطب من معجمه اللغوي كلمة عوراء وأعور... وكل ما يتصل بهذه الكلمة، وكان في استمتاعه بها ينظر إلى كل شيء عدا ما يستقبحُ منها، وهو عينُها التي تشعر بحرج منها» والحق أن هذا تصرف يعجز عنه كثير من الرجال الأفاضل فما بالك بالأراذل والحمقى؟

وقال أحد الحكماء من ذوي الخبرة راوياً قصةَ زواجِهِ من امرأةٍ يكبرُها سناً فبادَرَتْه «أنا أحبُّ زوجي رجلاً أقرب إلى الكِبَر حتى أشعر بوقاره، وأحسُّ بأنه لي، أبٌ وزوجٌ معاً، وحتى أستفيدَ من تجارب عمره وحكمتِه فيعاملني بعيداً عن طيش الشباب الذي يهزُّ البيوتَ، فلا تستقِرّ إلاّ بعد آلام ومتاعب طويلة؛ إن لم تُدمَّر أثناء الشّد والجَذب، والمد والجزر، للذين يكونان في مفتتح الحياة الزوجية للشباب»[1].

شكر الصنيع:

إن الزوجة التي تشيع فضائل زوجها بين الآخرين إنما تسدُّ الأبواب أمام الشيطان الذي يريد إفساد حياة الزوجين السعيدين ـ وهذه الفضائل إنما نحرُسُ عندما تواجه بالكلمة الشاكرة من الزوجة اتجاه الزوج،.. والإنسان بطبعه الفطري يحبُ أن يرى ثمرة عمله الطيبة ويحب أن يتحسَس

(١) عبد المتعال الجبري، المرأة في التصور الإسلامي، ص ١٣٠.

آثارَها، . . . صحيح أن المؤمن إنما يعمل للّه وعليه ألا ينتظر الشكرَ من الناس. . . لكن بالمقابل فإن واجب الناس أن يظهروا شكرهم لصاحب الفعل الخيّر، وأن يمنحوه تقديرهم فإن في ذلك تشجيعاً للسلوك المبارك، والصنيع الحسن، وما أجمل الكلمة النبوية الموحية لكل من عمل صالحاً «جزاك خيراً» فإن فيه حسن المثوبة وعظيم الشكر والعرفان. . .

وأثنت امرأةٌ يوماً على زوجها ـ لأمها ـ على كرم زوجها فقالت: يا أماه: من نشر ثوب الثناء فقد أدّى واجب الجزاء. وفي كتمان الشكر جحود لما أوجبَ منه، ودخولٌ في كُفر النّعم.

ثم أن الكلمة الشاكرة في البيت تسهم في ترسيخ مفهوم سلوكي متحضر في نفوس الأولاد الصغار الذين يتلقفون أي كلمة تخرج من محل أسوتهم الأم أو الأب فعندما تعتاد أسماعُهم على كلمة «جزاك اللّه خيراً» أو «أشكرُك» أو كلمة آسفة أو آسف عند صدور الخطأ لأنى الرجوع عن الخطيئة فضيلة فإنما يعتادون هذا الخلق الطيب، ويتكون لديهم المقياس الصحيح والحسن السليم والميزان الدقيق، فإذا ما تشكل الميزان الصحيح في هذه المسألة وتلك فإن هذا من شأنه أن يمدّ الميزان ليشمل كلَّ شؤون الحياة.

الوفاء للزوج:

ما أظن رجلاً واعياً عاقلاً إلاّ ويحلم بزوجة وفيّة ـ والوفاء من الزوجة: مقاسمة الزوج حلوُّ الحياة ومُرِّها

وقيل: خير النساء المبقية على بعلها. فهي تؤثرُ راحةَ زوجها على راحةَ نفسها.

«يحكى أن أعرابياً من بني عُذرَة شكا إلى سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي اللّه عنه عاملَهُ مروان بن الحكم بالمدينة لرغبته في التفريق بينه وبين زوجه على رغمِها، لفقر نزل به بعد عز، ولرغبته: (أي مروان بن الحكم): أن يتزوج منها لمكانها من الجمال فلما حضرت أمام معاوية قال لزوجها مازحاً: نخيُّرها بيننا. فقال الزوج في ثقة من زوجتهِ: ذلك إليك يا أميرَ المؤمنين. فتحول معاوية نحوها وقال لها: يا سُعدَى: أينا أحبُّ إليك؟

أمير المؤمنين في عزه ومشرفهِ وقصوره، أم مروان بن الحكم في غضبِه واعتدائه أم هذا الأعرابي في جوعه وأطماره (الطمر: الثوب البالي) فأشارت المرأةُ إلى ابن عمها الأعرابي وأنشدت تقول:

هذا وإن كان في جوعٍ وأطمار
أعزُّ عندي من أهلي ومن جاري

وصاحبِ التاجِ أو مروانَ عاملهِ
وكلّ ذي درهمٍ منهم ودينارِ

ثم قالت: لستُ ـ واللّه ـ يا أمير المؤمنين ـ لحدثان[1]

(١) حدثان الدهر: مصاعبَه ومصائبه.

الدهر بخاذلته، وقد كان لي معه عيشةً راضية. وأنا أحقّ من صبر معه على الضراء والسراء وعلى الشدة والرخاء، والعافية والبلاء، وعلى القسم الذي كتب اللّه لي معه»[١].

فأعجب معاوية بعقلها وكمال مروءتها، وأمر لها بعطاء وافر.

فهذا النموذج الطيب من النساء هو الذي يقدر على بناء البيت السعيد الذي يؤسس لنسلٍ صالح مبارك فيه يرث الوفاء والمروءة عن أمه ويسهم في تماسك المجتمع تماسكاً حياً فاعلاً وقادراً على مواجهة كل الصعوبات والتحديات التي قد تواجهه.

الإحداد على الزوج:

قال الإمام الغزالي رحمه اللّه في الإحياء: ومما يجب على الزوجة من حقوق النكاح إذا مات عنها زوجها ـ ألا تحدّ عليه أكثر من أربعة أشهر وعشر وتتجنب الطيب والزينة في هذه المدة، قال: زينب بنت أبي سلمة، دخلتُ على أم حبيبة زوج النبي ﷺ حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب، فدعت بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره فدهنت به جارية، ثم مسّت بعارضيها، ثم قالت: واللّه مالي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «لا يحل لامرأة تؤمن

(١) عبد المتعال الجبري، المرأة في التصور الإسلامي، ص ١٣٢ـ ١٣٣.

باللّه واليوم الآخر أن تحد على ميت أكثر من ثلاثة أيام إلا على زوجٍ أربعة أشهر وعشراً»[١]، ويلزمُها مسكن النكاح إلى آخر العدة، وليس لها الانتقال إلى أهلها ولا الخروج إلا لضرورة»[٢].

العفة والأمانة:

إن للعفة عند المرأة أهمية بالغة تشبه إلى حدٍ ما أهمية القوة عند الرجل، فالعفة هي السلاح الأمضى عند المرأة التي تصون بها كرامتها، كما أن العفاف هو الدرع الحصينة للأسرة، وهو الركن المتين الذي تقوم عليه أسس التربية السليمة للأسرة الإسلامية وهو المعين الذي تغرف منه البنات، وينهل منه الأبناء. فإذا كانت المرأة تعاني من ضعف جسماني فالعفة سندها ومصباحها المنير في الليلة الحالكة السواد ولن يتم للزوجين سعادة، ولا يرتاح لهما بال إذا فارقت كلا الزوجين خصلتان أو فضيلتان الأمانة والعفاف ـ وكلا الزوجين مطالبان بتأدية واجبهما بالحفاظ على الأنساب، وعلى السمعة الطيبة ـ والمرأة مطالبة بالحفاظ على ذلك على نحو أكبر لأن دورَها أعظم في رعاية النسل وحفظه لأن اللّه اختصها في حمل النسل وحفظه في بطنها

(١) حديث أم حبيبة «لا يحل لامرأة تؤمن باللّه واليوم الآخر أن تحد على ميت أكثر من ثلاثة أيام إلا على زوج أربع أشهرٍ وعشراً متفق عليه.

(٢) الغزالي، الإحياء، ج ٣ ص ٦٧.

إلى قدر معلوم، ثم إنها صاحبة الدور الأكبر في رعايته وتنشئته بعد الولادة، والعفة والحياء صنوان فما وجد الحياء إلا وجد منه العفاف ولا وجد العفاف إلا كان الحياء معه «وقد عظم النبي ﷺ من أهمية الحياء في قوله: «إن لكل دينٍ خلقاً وخلق الإسلام الحياء»[١].

ولعل أمراض العصر الحديث التي تجلّت بفهم خاطىء لمفهوم الحرية الاجتماعية أو الحرية الشخصية وهي دفعت بها القنوات الفضائية الغربية أسهمت إسهاماً غير قليل يجعل الفتاة والشاب يفقدا قسماً كبيراً من حيائهما وقيمهما، فأصبحنا نرى في بعض القنوات الفتاة وهي تنتقي أقذع العبارات وأشدّها فحشاً وهي تحسب أن هذا فطنة أو حضارة؛ أما فتياتنا ما عليهن إلا أن يدرسن تاريخ الأمة العريق وتراثها المجيد، قال عربي لأولاده يمنُّ عليهم:

فأولُ إحساني إليكم تخيُّرِي
لما جِدَة الأعراق باد عفافها

أي أن فضله على أولادِه اختياره زوجته (أي أم الأولاد) من نسب كريم، ومن أهل الطهر والعفاف والشرف ولم يختار زوجته من اللاتي لا شرف لهن ولا حياء، فإذا ما أنجبت أولاداً وجدوا من يرميهم بالخسة لعدم طهر أمهم أو انعدام عفافها!!

(١) ابن ماجه باب الزهد والحياء برقم: ٤١٧١، و٤١٧.

وقال بعض الحكماء: النساء هن معراج الشرف بفقهن، ونير المصائب بابتذالهن[١].

كيف تحافظين على عفافك أيتها المرأة؟

ما من شك أن عدم الانضباط الأخلاقي في أي مجتمع من المجتمعات عامل مهم في هتك عفة المرأة، ثم أنّ المطالعة غير النافعة أو الموجهة توجيهاً سليماً عامل آخر، كما أن الأفلام الهدامة لسور الأخلاق ذات تأثير على الجنس البشري امرأة كانت أو شاباً. لذا يجب أن تحصّن المرأة تحصيناً من هذه المؤثرات السيئة التي تدفعها دفعاً قوياً نحو الانحراف والوقوع في الخطيئة التي سينكرُها المجتمع عليها ويوبخها ويحاصرها وسيشترك الناس جميعاً إلا من أراد الطهر للسانه ـ في نهش لحمها والطعن في سمعتها دون تأكد أو تحقيق، إن هذا ما يحصل للإنسان الذي يورط نفسه في الشبهات فما بالك لمن وقع فعلاً وحقيقةً!! ومن مواطن الدافعة نحو الخطيئة مواطن الخلوة والاختلاط والتبرج ومن المواطن المساعدة على العفة مجالس العلم النافع الذي يكرس مفهوم الأخلاق السليمة، والمطالعة الداعية إلى التذكير بالآخرة ومخافة اللّه عزّ وجل، واستشعار التقوى واستحضارُها في الساعات الحرجة عصمت الكثيرين من الوقوع في الرذيلة، ولعل غض البصر من العوامل المساعدة

(١) عبد المتعال الجبري، المرأة في التصور الإسلامي، ص ١٣٦ـ ١٣٧.

على استمرارية العفاف والطهر، لذا طلب اللّه تعالى من المؤمنين ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾. وقال السيد المسيح عليه السلام «النظر يزرع في القلب الشهوة»، وكفى به خطيئةً ـ وجميل قول الشاعر:

فتصبّر ولا تشم كلّ برقٍ
رُبَّ برقٍ فيه صواعقُ حينْ

واغضض الطّرْفَ تسترِحْ من غرامٍ
تكتسب فيه ثوبَ ذل وشَينْ

فقياد الفتى موافقة النفـ
ـس وبدرُ الهوى طموح العينْ

ومن علامات العفاف ألا يزور الأصدقاء بعضهم وقت غياب الزوج وأن لا تكون مجالسهم مختلطة نساءً ورجال قال الشاعر:

ولست بصادرٍ عن بيتِ جاري
صدور العير غمرَه الورودُ

ولست بسائل جارات بيتي
أغياب رجلكِ أم شهودُ

ولا ألقي لذي الودعات سوطي
لألهيهِ وربَته أريدُ

وجميلة مقولة عبد اللّه بن المقفّع: «المرأة ريحانة، وليست بقهرمانة»[١]

من حقوق الزوجة على الزوج:

مدخل: كيف أثبرَ موضوع حقوق المرأة وأثر موقف المذاهب والشرائع الأخرى في ذلك.

عبر الامتداد التاريخي للإسلام والثقافة الإسلامية، لم يُطْرَحْ مشكلة أسها حقوق المرأة، أو حقوق الزوجة، والسبب كأن الإسلام قد انتشل المرأة من وهدة السقوط والإذلال الذي كانت ترزح تحته في عهود ما قبل الإسلام فجاء الإسلام ليقرر أن المرأة أم وزوجة وأخت، وسيدة بيت وعالمة يؤخذ عنها الدين وتمارس دورَها المرسوم من اللّه تعالى في تفعيل الحياة ـ فقرر الإسلام أن المرأة لها حق الملك وحق الإرث وحق التعلم، وإذا احتاجت الأمة لممارسة التمريض أو مقاتلة الأعداء فلا مانع من ذلك ـ كما دعا الإسلام إلى إكرامها وصيانتها، واستمر الأمر على هذه الحال حتى بدأت ظاهرة التراجع عن التمسك بالإسلام شيئاً فشيئاً ولكن بعض المظاهر الإسلامية لم تغِب كل الغياب، فبقيت الحياة الزوجية كظاهرة تكريم للمرأة وبقيت ظاهرة دفع الرجل المهر للمرأة التي يريد الزواج منها ظاهرة تكريمية

(١) القهرمانة: كلمة فارسية، تفي، وكيل الخزانة، أو مدير المال.

لها أيضاً، إلى غير ذلك من الظواهر الإسلامية التي تعبر عن مدى إكرام الإسلام للمرأة ـ وما إن جاءت العصور الحديثة المترافقة مع النهضة الصناعية والثقافية في أوروبا حتى أوجدت أنماطاً جديدة للمعيشة، وأساليب مبتكرة للتعامل وللأزياء والأذواق والثقافة. فبظهور الشركات والمصانع الكبرى، وارتفاع تكاليف الحياة وجد الأوروبيون أنفسهم بحاجة لممارسة العمل على الصعيد المادي، واندفعت المرأة في أوروبا باتجاه المشاركة في الأعمال اليومية مما جعلها قادرة على الضغط على الرجال أو منافسة لهم في مواقع العمل والمسؤولية.

وبظهور النهضة الصناعية الأوروبية حصل بعض الانفتاح على الثقافة الإسلامية على نحوٍ من الأنماء صافياً كان أو مشوهاً؛ فلمحت المرأة الغربية بعض المظاهر التي حازت عليها المرأة العربية المسلمة في ظل الإسلام. فأصيبت بالذهول عندما رأت المرأة المسلمة يُبذَلُ المهرُ لها من أجل الزواج منها، في حين كانت المرأة الغربية هي التي تدفع مبلغاً من المال كي يقبل الرجل الزواج منها، ولم تكن تملك الحق في التملك، فوجدت نظيرتها المسلمة تمتلك هذا الحق، فطالبت النساء الغربيات بحقوقهن متأثراتٍ بما رأين من حقوق تتمتع بها المرأة المسلمة ـ إذاً حتى هذا التاريخ كانت المرأة الغربية هي الباحثة عن حقها في التحرر والثقافة والملك والميراث... وغير ذلك.

لكن مع استمرار حالة الضعف والتردي في حالة الأمة الإسلامية، واستمرار النهوض الاقتصادي والعلمي الأوروبي أصيبت الأمة الإسلامية نساءً ورجالاً بالوهن، ونظراً للاحتكاك الثقافي والاجتماعي غير المتكافىء بين الأوروبيين والمسلمين خلال وبعد حملة نابليون أخذ الغربيون يزعمون زوراً وبهتاناً أنهم هم الذين حرروا المرأة وقدروها حق قدرِها، وأن الإسلام بخسها حقها، فاندفع كتاب متأثرون بالثقافة الغربية من جهة وبحالة ضعفهم الشديد المترافق مع حالة الضعف العامة التي تعاني منها الأمة على الصعيد الثقافي والاقتصادي والحضاري ولجهلهم بعظم التكريم الذي منحه الإسلام للمرأة أخذوا يرفعون الرايات، الداعية لتحرير المرأة فاختلط داخل هذه الدعوات الفكر الغث بالسمين والصافي بالملوّث فأصبحت الآراء منقسمة حول هذا الموضوع انقساماً حاداً مما جعل باحثة البادية تنكر السفور الذي كانت عليه المرأة المسلمة في فترة أواخر القرن التاسع وهو لا يساوي بالتأكيد عشر معشار التبذل والسقوط الذي عليه جمهرة نساء العصر الحالي من شتى الطبقات، وأصبح التبذل عرفاً مسوّغاً تقريباً عند قطاعٍ واسع من الشعوب العربية والإسلامية، وفي ذلك جاء حديث الرسول ﷺ «كيف بكم إذا طغى نساؤكم، وفجر شبابكم، وتركتم جهادكم؟ قالوا: وإن ذلك لكائن يا رسول اللّه؟ قال: نعم والذي نفسي وأشد منه سيكون: كيف بكم إذا رأيتم المعروف

منكراً، والمنكر معروفاً؟ قالوا: وإن ذلك لكائن يا رسول اللّه؟ قال: نعم؛ وأشد منه سيكون. يقول اللّه: بي حلفت، لأسلطنّ عليهم فتنة تدع الحليم فيهم حيران؟. قالوا: وما المخرج يا رسول اللّه؟ قال: «حتى تأمروهم على الحق أطراً»[١] أي تحملونهم على الحق حملاً. وبشيوع التبرج والسفور المتمادي أصبح الأمر واقعاً. لكن منطق الحق والصواب المغروس في أعماق الفطر السليمة والعقول الراجحة جعل الكثيرات من النساء من تنكر التبذل وتتمنى الستر حتى لو كنا متبذلاتٍ تحت ضغط العادات العائلية والتقاليد الاجتماعية المدنية الزائفة. وما دام البحث يريد توضيح ما للمرأة الزوجة من حقوق على زوجها فلا بأس من عرض موجز لنظرة الحضارات غير الإسلامية عن المرأة كي تكون على بينة من القداسة والتكريم التي منحها الإسلام للمرأة «وبضدها تتمايز الأشياء».

المرأة في الحضارة الإغريقية:

قال سقراط الحكيم:

«إن وجود المرأة هو أكبر منشأ ومصدر للأزمة والانهيار في العالم، إن المرأة تشبه شجرة مسمومة ظاهرها جميل ولكن عندما تأكل منها العصافير تموت حالاً»[٢].

---

(١) عبد المتعال الجبري، المرأة في التصور الإسلامي، ص ١٤٩ـ ١٥٠.

(٢) صادق كميلي، شخصية المرأة في الإسلام، ص ١١ـ ١٧ وما بعدها..

ويصف أندروسكي شخصية المرأة عند الإغريق فيقول:

«نتمكن من أن نعالج حرقة النار ولدغة الحية، ولكن ليس للمرأة السيئة الأخلاق أي علاج».

وقد قال الدكتور أسبرينك «Dr Asprink» أنه «في سنة ١٥٠٠ ميلادية تشكَّلَ مجلس اجتماعي في بريطانيا خصيصاً لتعذيب النساء، وابتدع هذا المجلس وسائل جديدة لتعذيبهن، وعلى هذا الأساس أحرق المسيحيون النساء وهن أحياء»[١]. ولقد سميت المرأة في كتب الصين القديمة بالمياه المؤلمة».

أما البوذية:

فقد شكت البوذية في المرأة شكاً عظيماً «فالصدق عند المرأة كالكذب، والكذب لا يشبّه إلا بالصدق؛ ولهذا فالنجاة ولا تحصل بمجالسة النساء، وإنما بالعزوبة والفرار منهن»[٢].

أما المرأة في اليهودية:

يقول اليهود: المرأة في المحيض نجسة تحبس في

(١) نقلاً عن المرأة في التصور الإسلامي لعبد المتعال الجبري ص ١٥١.

(٢) روحي أونك، القانون البوذي القسم الأول. ص ٢.

البيت، وكل ما تلمسه من طعام أو كساء أو إنسان أو حيوان ينجس، وكل ما يفعلُه الرجل من أعمال لا أخلاقية فإنه على المرأة [لاحظ المفهوم الإسلامي] «لا تزر وازرة وزر أخرى». - وفي التوراة: «لقد بدأ الذنب من طرف المرأة. وإن المرأة هي توجب موتَنا»(١) - وفي سِفر التكوين: «فقال آدم: المرأة التي جعلتُها معي هي التي أعطتني من الشجرة فأكلت»(٢).

فأين هذا من بيان الإسلام في كتابه «القرآن عندما يحمل آدم المسؤولية على قدم المساواة ثم يُلزم الرجلُ الشقاء من أجل إسعاد زوجته: ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾(٣) ثم يقول تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ ثم يلزم القرآن آدم خطأه فيقول في نهاية الآية: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾(٤).

موقف المسيحية من المرأة:

ويجرد الغربيون الأوروبيون المرأة من العقل ويجعلون تفكيرها ليس عملية عقلية، وإنما هو تفتق غريزة، فقد قال

(١) عن شخصية المرأة في الإسلام ص ٣٢- ٣٣ لصادق الكميلي.
(٢) الإصحاح الثالث من سفر التكوين، المقطع الأخير من الصفحة ٦.
(٣) سورة طه، الآية: ١١٧.
(٤) سورة طه، الآية: ١٢١.

ست كلمين: «العقل أمانة عند الرجال لا يلحقهُ أي خطأ أو عيب، ولكن التفكير بطبيعة المرأة شيء «فخجل وفخر حقاً»[١] وقال ست جون كريستم «إن المرأة شر ضروري ولازم ومصيبة مطلوبة وسحر قتال، ومن يمتلىء بالزينة والجمال»[٢]...

وقد ورد في رسالة بولس الأولى إلى أهالي كورنتبوس ما يؤكد أن عدم الاقتران بالمرأة هو الأفضل:

«وأما من جهة الأمور التي كتبتم لي عنها فحسن للرجل أن لا يمسَّ امرأةً، ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأتُهُ، وليكن لكل واحدةٍ رجلُها»[٣]

ويخاطب بولس الأرامل مبيناً أن الحالة المثلى والفضلى في عدم الزواج:

«ولكن أقول لغير المتزوجين وللأرامل إنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا ولكن إذا لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا، لأن التزوج أصلح من الترف»[٤].

ويقول لأهل كورنتوس طالباً منهم أن يتجردوا للرب

---

(١) عن كتاب المرأة في التصور الإسلامي، ص ١٥٦.

(٢) عبد المتعال الجبري، المرأة في التصور الإسلامي، ص ١٥٦.

(٣) العهد القديم والجديد، رسالة بولس الرسول إلى أهل كورنثوس، الإصحاح السابع الجميلة ٢ ص ٢٧٤.

(٤) المصدر نفسه، ص الجميلة ٨، ص ٢٧٤.

بعدم الزواج كي لا يتوجه الرجل بأعماله وسلوكه كي يرضي امرأته:

«فأريدُ أن تكونوا بلا هم، غير المتزوج يهتم في ما للرب كيف يرضي الرب وأما المتزوج فيهتم في ما للعالم كيف يرضي امرأتَهُ»[١].

إذاً من الأفضل عدم الزواج وعدم الاقتراف بالمرأة وفق ما تفيدُه الأناجيل المتوفرة بين أيدينا، وأن المرأة غير قادرة على التفكير ـ والمرأة الحائض عند اليهودية نجسة تنجس كل ما تلمسُه نباتاً أو جماداً أو حيواناً... إلخ.

فإذا كانت الشرائع السابقة تنظر إلى مسألة المرأة هذه النظرة البدائية والمتخلفة التي لا تليق بالمرأة الإنسانية قرينة الرجل. فما الحقوق التي أوجبتها الشريعة الإسلامية للمرأة على زوجها وأهلها؟ أو بمعنى آخر: ما الواجبات التي يجب على الزوج أن يقدمها لزوجته وإن لم يفعل وقع في الآثام والمعاصي وفق التصور الإسلامي.

قرر الإسلام أن البشر جميعاً خلقوا من نفس واحدة قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [٢]. وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم

(١) العهد القديم والجديد، رسالة بولس الرسول إلى أهل كورنتوس الأصحاح السابع الجميلة: ٢٣، ٢٤، ص ٢٧٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[١] ـ إذاً المرأة في مسكن هادىء وفي الوقت نفسه هي سكن هادىء للرجل يأوي إليه بعد حركته الواسعة ساعياً أمام أولاده وزوجه ونعرض فيما يلي بعضاً ما لهذه المرأة من حقوق لدى زوجها:

حقوق الزوجة:

أولاً ـ حسن المعاشرة:

ليست المرأة ذليلة ولا أسيرة بل من واجب الزوج أن يعاملها المعاملة الحسنة التي تليق بها كإنسانة بانية للحياة الكريمة، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[٢].

وقد روى الترمذي من حديث عمر بن الأحوص الجشمي أنه سمع رسولُ اللّه ﷺ يقول في حجة الوداع: «استوصوا بالنساء. ألا إن لكم على نسائكم حقاً، ولنسائكم عليكم حقاً. فحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن، وحقكم عليهن ألا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون»[٣].

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢١.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٩.

(٣) ابن ماجة برقم ٣٠٦٥ في كتاب المناسك حجة رسول اللّه والترمذي في كتاب الرضاع ما جاء في حق المرأة على زوجها، وبرقم: ١٠٠٨٣.

وأخرج مسلم: قال عليه السلام: «لا يَغْرَك المؤمن مؤمنة إن كرِهَ منها خلقاً رضي منها آخر»[١].

وقد اختصر البيان النبوي الشريف الطريق على الرجل عندما طالب الرجال أن يستوصوا بالنساء خيراً، وألا يلهثوا وراء محاولات ليست مضمونة النجاح يجعل المرأة كائناً لا عوج فيه. فقد أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة «من كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر فلا يؤذِ جارَه، واستوصوا بالنساءِ خيراً فإنهن خُلِقْنَ من ضلع أعوج، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه. فإن ذهبْتَ تقيمَه كسرْتَهُ، وإنْ ترَكْتَهُ لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً» وإن صح التشبيه: المرأةُ شجرة الورد جميلة بِشوكها. والذي يطلبُ شجرةُ ورد بلا شوك يطلب محالاً، وأظنُ الذي يزعمُ أن شوك شجرة الورد يجعلها قبيحة لا تصلح للاستمتاع بها مختل المزاح والطبع، والمرأة في جانب من جوانبها ضعيفة، ولا بأس من احتمائها بالشوك مثل الوردة التي تصون نفسها بالشوك أو تحتمي به. وقد وردت قصص كثيرة عن صبر الأزواج الصالحين منها ما صح ومنها ما لم يصح إسنادُه، لكن قصة صبر نوح المرير على إذاء زوجته قد وردت في القرآن الكريم وكذلك وردت في الآية نفسها قصة صبر لوط على امرأتِه، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ

(١) أخرجه مسلم في باب الرضاع الوصية بالنساء وبرقم ٢٦٧٢.

كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾[1].

قال أبو حامد الغزالي في فوائد الصبر على الزوجة:

«وفي الصبر على ذلك رياضة وكسر الغضب، وتحسين الخلق: فإن المنفرد بنفسه أو المشارك لمن حَسُن خلقُه، لا تترشح منه خبائث النفس الباطنة ولا تتكشف بواطن عيوبه»[2]. أي أن الغزالي يرى أن صبر الرجل على عيوب زوجته من شأنه أن يهذب نفسه ويطرد خبثَها.

ثانياً: **حق الملاطفة أو المعاملة الحسنة أو الترويح عن النفس:**

وملاطفتها تجلب الود، وتزرع المحبة ـ فالمرأة لها الحق لأن المعاملة الحسنة للمرأة أن تستمتع في اللهو المباح، الذي يهدىء الأعصاب من ضغوط الحياة كالاستمتاع بمناظر الكون الجميل، والفضاء الفسيح ـ وأن دليل ذلك قالت عائشة رضي اللّه عنها: سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون في يوم عاشوراء فقال

(١) سورة التحريم، الآية: ١٠.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب: الإيمان عن رسول اللّه ﷺ ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه وبرقم: ٢٥٣٧، وأخرجه أحمد في كتاب: باقي مسند الأنصار، حديث السيدة عائشة، وبرقم: ٢٣٠٧٣، ٢٣٥٣٦.

لي رسول اللَّه ﷺ: أتحبين أنْ تَرَيْ لعبهم؟ قالت: قلْتُ: نعم، فأرسل إليهم فجاؤوا، وقام رسولُ اللَّه ﷺ بين البابين فوضع كفَّهُ على الباب، ومدَّ يَده فوضعتُ ذقني على يده وجعلوا يلعبون وأنظُر، وجعل رسول اللَّه ﷺ يقول: حَسْبُك؟ وأقول: أسكت مرتين، أو ثلاثاً، ثم قال يا عائشة حسبُكِ؟ فقلْتُ: نعم، فأشار إليهم فانصرفوا، فقال رسول اللَّه ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وألطفهم بأهله» رواه الترمذي واللفظ له، وأحمد والحاكم.

ويشرط ألاّ تكون هذه الدعابة لا تذهب إلى حد فيفسد معه خُلق المرأة فكما أنه لا يجوز للزوج أن يظلمَ امرأتَهُ كذلك لا يجوز له أن ينقاد لأمزجتهن أو أهوائهن، أو يملكهن زمامَه عندئذٍ يحصل الخلل والانحراف... فإذا رأت المرأة أمراً سديداً نافعاً لا بأس من العمل به والاستجابة لها، ولكن رأت أمراً نابعاً من هوى متبعٍ فعلى الزوج أن يعمل بما يرضي اللَّه ورسولُه، وبما يقتضيه العقل الراجح لا الهوى المتأرجح.

حق المرأة في مسكن لائقٍ مستقلُ ونفقة مع مراعاة حال الزوج بالمعروف:

نصّ النووي في كتاب المجموع وهو يشرح كتاب المهذب للشِيرازي الشافعي «ويجب لها مسكن لقوله تعالى:

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾ . . .[١] وقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[٢] ومن المعروف أن يسكنها بمسكن، ولأنها تحتاج إليه للاستتار عن العيون عند الاستمتاع ويقيها من الحر والبرد؛ فوجب عليه كالكسوة ويُعتَبَرُ ذلك بيسارِهِ وإعساره وتوسطه»[٣].

وإلى مثل ذلك ذهبت السادة الحنفية مستدلين بقوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾ معناه: «أسكنوهن من حيث سكنتم وأنفقوا عليهن من وجدكم، وقال ﷺ: «أوصِيكم بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان اتخذتموهن بأمانة اللّه، واستحللتم فروجهن بكلمة اللّه، وإن لكم عليهن ألا يُوْطِئْنَ فُرشَكم أحداً، وأن لا يأذَنَّ في بيوتكم لأحدٍ تكرهونه فإذا فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، وأن لهن عليكم نفقتهن وكسوتهن بالمعروف»[٤].

وإذا لم يؤدِ الزوج حق النفقة فللمرأة أن تأخذ من مال الزوج ولو دون علمه لكن بالمعروف لقوله ﷺ لهند زوج أبي سفيان: «خذي من مال أبي سفيان ما يكفيك وولدك بالمعروف» «لأنها محبوسة لحق الزوج ومفرّغةً نفسها له

---

(١) سورة الطلاق، الآية: ٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٩.

(٣) النووي، المجموع ج ٢ ص ١٥٥.

(٤) شمس الدين السرخسي، المبسوط، ٥ـ٦، ج ٥ ص ١٨١. والحديث أخرجه مسلم الحج حجة النبي برقم: ٢١٣٧.

فتستوجب الكفاية عليه في ماله كالعامل على الصدقات لما فرّغ نفسه لعمل المساكين استوجب كفايتَهُ والنفقة بالمعروف حسب حال الرجل دون إسراف ولا تقتير، وعليه توفير الملابس لكل فصل من فصول السنة»[١].

- حق المرأة في خادم يخدمُها على بعض الآراء:

قال النووي في المجموع شارحاً المهذب: «وإن كانت المرأة ممن لا تخدم نفسها لمرض بها أو كانت من ذوات الأقدار: [أي صاحبة قَدْرٍ وجاه] - قال ابن الصباغ: فإن كانت لا تخدم نفسها في بيت أبيها وجب على الزوج أن يقيمَ لها من يخدمها. وقال داود. «لا يجب عليه لها خادم»[٢] ثم قال النووي مستدلاً على وجوب تهيئة الخادم للمرأة بقوله تعالى ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[٣] ومن المعاشرة بالمعروف أن يقم من يخدمها؛ ولأن الزوج لمّا وجبت عليه نفقة الزوجة وجب عليه إحترامها كالأب لما وجبت عليه نفقة الابن وجبت عليه أجرة من يخدمُه وهو من يحضنُه»[٤].

- حق المرأة في التعليم:

---

(١) السرخسي، المبسوط، مج ١٠، ج ٥ ص ١٨١.

(٢) النووي، المجموع ج ٢٠، ص (١٥٥-١٥٦).

(٣) سورة النساء، الآية: ١٩.

(٤) النووي، المجموع، ج ٢٠، ص ١٥٦.

قال رسول اللّه ﷺ: العلم فريضة على كل مسلم»[١].

ولهذا الحديث ولغيره فقد حفل التاريخ الإسلامي والثقافة الإسلامية بمئات العالمات والمحدثات والأدبيات ـ لكن بابتعاد الأمة عن تعاليم الإسلام في العصور المتأخرة انحط مستوى التعليم على كافة المستويات والصُّعَد مع أن الإسلام يحث على العلم ويرغّبُ فيه ويجعله فرضاً من الفروض العينية في حالة ومن الفروض الكفائية في حالة أخرى، ولنأخذ على سبيل الذكرى لا الحصر من العصور المتأخرة سيرة العالمة «فاطمة بنت الشيخ علاء الدين السمرقندي الفقيه الحنفي الكبير صاحب تحفة الفقهاء [المتوفى عام ٥٣٩/ هـ] فقد كانت فقيهة جليلة تزوجها تلميذ أبيها الشيخ علاء الدين الكاساني المتوفى في / ٥٨٧هـ/ صاحب البدائع الذي بسط فيه كتاب شيخه السمرقندي حتى قيل عنه: شرح قصته وتزوَّج ابنتَهُ، وكانت فاطمة من جلالتها في الفقه أن كان زوجُها يخطىء فتردُّه إلى الصواب، وكانت الفتوى تأتي فتخرج وعليها خطُّها وخطُّ أبيها، فلما تزوّجت بصاحب البدائع كانت الفتوى تخرج وعليها خطُّها وخط زوجها، والحق أن لجهل المرأة أثراً بالغاً في تأخر الأبناء، فالأمهات الجاهلات حتى وإن توفّر فيهن عنصر الخلق والإخلاص فإن تأثيرهن البناء يبقى محدوداً، وفي الغالب وخاصة في عصرنا

(١) أخرجه ابن ماجة في كتاب المقدمة، فضل العلماء والحث على طلب العلم برقم ٢٢٠.

الحاضر بعد أن دخلت الثقافة والعلم كل أنماط الحياة وأساليبها ووسائلها أصبحنا في حاجةٍ مسيسة لتعليم الفتاة وإلاّ فسينطبق علينا قول الشاعر:

وإذا النساء نشأن في أميةٍ
رضع الرجال جهالةً وخمولا

ومن الواجب تبيانُه: أن الدعوة إلى العلم النافع، والثقافة الحية الفاعلة المكوّنة للإنسان رجلاً كان أو امرأة لا علاقة له بالانحلال أو الإباحية، فمن المنطقي أن سلوك المتعلمة أو المتعلم يجب أن يكون راقياً وفاضلاً أكثر من سلوك الجاهل أو الجاهلة، لكن إن حدث خلاف ذلك فهذا هو التناقض لأننا نتعلم من دون أن نفعل ومن دون تطبيق و﴿وكبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ والمفارقة بين العالِمين وغير العالمين سجلها القرآن: عندما قال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1] الجواب: لا يستوون لأن هذا الاستفهام إنكاري أي لا يستوون رجالاً عالمين أو نساء عالمات، أما ما طرأ على الحياة العربية الإسلامية من توجه المرأة باتجاه التقريب فهذا مردُّ إلى حالة الضعف التي آلت إليه الأمة فلجأت إلى تقليد الأقوياء ظناً منها أن مواكبة المرأة المسلمة للمرأة الغربية باللباس سيمكنها من غزو الفضاء وامتلاك أسرار الذرة، وما إن مضت أشواطاً في

(١) سورة الزمر، الآية: ٩.

هذا الاتجاه حتى وجدت نفسها أنها نالت الشهادات دون أن تكون مثقفة، وفقدت شخصيتها فأصبحت مائعة لا ضفاف لها ولا حدود، أما اليوم وتحت وطأة الفضائيات والقنوات الغربية والصهيونية فما أجدر المرأة والرجل معاً أن يتمسكا بخصوصيتهما الثقافية والأخلاقية كي تحافظ الأمةُ على توازنها وخصائصها وكي لا تُفْقَد الهوية في وسط زمام العولمة المسلحة بأدواتِ ضخ ثقافي وإعلامي وسلوكي قوي وغزير، الغاية منه انتزاع ثقافة الأمة وسلخها عن جذورها وعن دينها وما من شك أن الأمة مثلها مثل الشجرة إذا ما فصلت عن جذورها كُتِب عليها الفناء والزوال ـ كل هذه الوقائع تؤكد وجوب نيل المرأة حقها من التعليم والثقافة التي تزودها بسور من الممانعة بحيث تصبح عصية على مخططات الأعداء من غربيين وصهاينة، وتمارس دوراً حضارياً يليق بها كامرأة متميزة مسهمة في بناء نهضة حقيقية تعود بالخير والرفاه على عموم الأمة ـ وإلاّ فإن لهاث المرأة العربية والإسلامية وراء تقاليد الغرب لن يجعلها تحصل إلا القشور وهب أنها حققت شيئاً ما، لكن ما قيمة كلُّ ذلك إذا كسبت أشياء كثيرة وخسرت هويتها وتمايزها وباختصار خسرت نفسها، ويمكن أن نوجز الضوابط الشرعية التي على المرأة أن تراعيها في طلبها العلم:

١ـ جواز الخروج لطلب العلم الضروري المتعلق بأمر تصحيح دينها والعلم حسب حاجتها.

٢ـ جواز تعلم المرأة للفيزياء والكيمياء والهندسة... مما يصلح الرجال له، فهو مباح لها إذا لم يقُم الرجال به، فإذا قاموا به، وأغنوا المجتمع، وسدوا حاجتَهُ لم يجز الخروج له لعدم وجود المصلحة الغالبة على ما في خروجها من المفاسد، أما دراسة الطب فخروجها مباح [وقد يكون واجباً] إذا لم يوجد من الطبيبات المسلمات ما يكفي لسد الخلة ودفع الحاجة، لأنه لا يجوز للرجال الاطلاع على عورات النساء ما دام في النساء من يستطيع ذلك، فإذا كان عددُ الطبيبات من النساء وافياً لم يَجُز لها الخروجُ له، وهكذا كل العلوم والاختصاصات والأعمال التي لا تجوز للرجال مع توفر النساء كالتوليد وغيره.[١]

ويجب التذكير والانتباه أن خروج المرأة لعمل أو دراسة مشروعة مباحة يجب أن يكون مشروطاً بالحجاب الكامل، والإذن ممن له حق الإذن كالزوج والولي[٢]. وما ذكرناه من حقوق الزوج على الزوجة في هذه الفقرة لا يشمل كلّ الحقوق التي أكدتها الشريعة الإسلامية ملزمة الرجل بتلبيتها مطالبةً إياه بتنفيذها إنما هذه الحقوق التي ذكرناها على سبيل الأهمية لا الحصر الشامل.

(١) د. أحمد حجي كردي، أحكام المرأة في الفقه الإسلامي، ص ٥٣ـ ١٥٤.

(٢) د. أحمد حجي كردي، أحكام المرأة في الفقه الإسلامي، ص ١٥٤.

وخلاصة القول: إن الإسلام منحها حقوقاً لم يمنحْها إياها كلُّ الرافعين لراية تحرير المرأة، إذ جعلها صاحبة حق في الإرث والتعليم والعمل بما ينسجمُ مع فطرتها وطبيعتها، كل ذلك وفق أجواء حافلة بالتقوى تسودُها الأخلاق الفاضلة فهو لم يرضَ لها أن تكون عاملةَ تنظيفات في شوارع المدن، ولا عاملة في مناجم الفحم.. إنما أناط بها مسؤولية عظمى مسؤولية تربية الجيل الواعي لأهدافه المؤمن بربه ودينه.

لذا كان الإسلامُ هو السباق نحو تخليص المرأة من قيود الأسر والإذلال في الجاهلية، وسيبقى الملاذ والخلاص للمرأة المظلومة في هذا العصر وفي غيره. وليس الإسلامُ بحاجةٍ إلى صيحةٍ مشبوهةٍ من هنا، وإلى رأي ممسوخ من هناك كي يتبعَهُ أو يقلدَه، إنما الإسلام ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ لإخراج الناس كافةً من الظلمات إلى النور.